سيميائية جوزيف كورتيس دراسة في المنظور والمفاهيم

أ.د. نادية هناوي سعدون

كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

ملخص البحث

عمل جوزيف كورتيس في كتابه (مدخل الى السيميائية السردية والخطابية) على وضع مشروع سيميائي في استكشاف المعنى بالتواصل. والكتاب ثري بالفوائد النظرية والتحليلية سواء في مقاربة النصوص أو في ملاحقة الخطابات بحثا عن آليات التوليد النصي والخطابي وميكانيزمات الانتاج السردي، لا سيما أن الكتاب يقدم تمرينات تساعد على تقييم المسافة التي تفصل الانتشار السردي عن خطية النص، كون السيميائية تحيل على الجانب التطبيقي عكس السيميولوجيا التي تشير إلى التطورات النظرية لعلم العلاقات، من خلال المزاوجة بين التحديدات الاصطلاحية والتحديدات التمثيلية والتشبيهية، مقدما مقاربة تطبيقية عن سيميائية قصة سوندريون من ناحية التنظيم العام للمتتاليات.. وسنحاول في هذه الدراسة رصد ما يأتي:

١. المنظور الفلسفي للمصطلحات السيميائية.

٢. التداولية الاجرائية للمنظورات المصطلحية.

Semiotic of Joseph Curtis

A study in perspective and concepts

Prof.Dr. Nadia Hannawi Saadoon

College of Education / University of Mustansiriya

Research Summary

Joseph Curtis worked in his book (the entrance to the semiotics of narrative and oratorical) on a draft Semiaia to explore the meaning of communion. The book includes the benefits theoretical and analytical approach both in texts or in

the pursuit of speeches in search of generating text and oratorical mechanisms for the production of the narrative, especially that the book offers exercises to help evaluate distance between the narrative proliferation written text universe semiotics refers to the practical side reverse Semiology which refers to the theoretical developments of the science of relations, through a combination of a conventional selections and selections representative and simulations, in advance applied for semiotic story approach Sundrion in terms of the general organization of sequences. We will try in this study to monitor the following:

1. **perspective philosophical terms of semiotics.**
2. **deliberative procedural perspectives terminology.**

مدخل

من هو جوزيف كورتيس ؟

يعد جوزيف كورتيس أحد اعضاء مدرسة باريس السيميائية التي تضم تلامذة غريماس مثل ميشيل اريفي وشابرول وجان كلود وكوكي وغيرهم من الذين تتطابق مرجعياتهم النقدية.

وقد وجَّه هؤلاء جهودهم لدراسة منحى صعب في اللسانيات وهو المدلول أو الدلالة أو التدليل أو جانب المعنى الذي يتحكم في توليد النصوص في تمظهراتها النصية اللامتناهية.

وكان كورتيس قد ذهب في كتابه(مدخل الى السيميائية السردية والخطابية)[1] إلى أن مشروعه السيميائي هو استكشاف المعنى بالتواصل، وقد تساءل عن إمكانية حصر الحقل السيميائي في التواصل قائلا:» هل يمكن أن يتحدد حقل التواصل مفهوما كفعل معرفة بإرادة التواصل أي إرادة فعل المعرفة؟»[2]، ومثّل على ذلك بالسكك الحديدية الايطالية وعملية تنظيم الفضاء مبينا انه توجد إرادة اتصال» فشكل الامكنة والمسارات الممكنة فيها والممنوعة تعطي مثلا معلومة عن اللاأمن أو المتعة أو الضيق أو الهدوء أو جو السرية « [3]

وهو الذي كرَّس جهوده لدراسة السيميائية من زاويتين منهجيتين: الزاوية السطحية التي يتم فيها الاعتماد على المكون السردي والمكون الخطابي والزاوية العميقة التي ترصد شبكة العلاقات التي تنظم المعنى حسب العلاقات التي تقيمها، مع تبيان نظام العلاقات التي تنظم الانتقال من قيمة إلى أخرى.

ومما أثار كورتيس أيضا وشغل اهتمامه التساؤلات: أين يتموقع تكوين الكفاءة التي تهم الذات السيميائية بوصفها ذات الفعل؟ وما مسار المرسل؟ وكيف تُقيم المسافة التي تفصل الانتشار السردي عن خطية النص المتمظهر؟.. وانتهى إلى نتيجة مفادها أن السيميائية تتحدد كلغة ثانية ميتالغة بالنسبة إلى عالم المعنى» فاذا كانت السيميائية نقلا لشفرة فهي اكثر من ذلك فباعتبارها عملية وصف يجب أن تدقق مستوى أو مستويات التحليل التي تريد أن تتموقع فيها» [٤] ..

وإذا كنا نقف على منظور كورتيس من خلال الترجمة العربية لكتابه٥؛ فإن هذا غير مخالف لشرائط البحث العلمي، كون الترجمة عملية نقل المدلولات من لغة إلى أخرى، وهي عملية عبور للمفاهيم والأفكار بوساطة الدوال الخاصة باللغة المنقول إليها٦ وجدير بالذكر أن مترجم الكتاب د. جمال حضري عمل على تزويد القارئ بجدول لترجمة المفردات المفتاحية حسب ترتيب ورودها في النص مع ترجمة للمفردات بالفرنسية والمصادر والمراجع الفرنسية والعربية.

وانطلاقا من هذا التوصيف وتعاطيا مع مقولة:» إن الاسهام في إنتاج المشهد العالمي يبدأ بنقده وإعادة النظر في علاقاته والمشاركة الواثقة التي لا تنطوي على عقدة دونية في الاضافة إليه «٧؛ فإن الإفادة من الكتاب أعلاه ستغدو أمرا واقعا نظرا لثرائه بالفوائد النظرية والتحليلية سواء في مقاربة النصوص أو في ملاحقة الخطابات، بحثا عن آليات التوليد النصي والخطابي وميكانيزمات الانتاج السردي، لا سيما أن الكتاب يقدم تمرينات تساعد على تقييم المسافة التي تفصل الانتشار السردي عن خطية النص المتمظهر، كون السيميائية تحيل على الجانب التطبيقي عكس السيميولوجيا التي تشير إلى التطورات النظرية لعلم العلاقات، من خلال المزاوجة بين التحديدات الاصطلاحية والتحديدات التمثيلية والتشبيهية، مقدما مقاربة تطبيقية عن سيميائية قصة سوندريون من ناحية التنظيم العام للمتتاليات.

ولأجل الوقوف المتفحص على ما كان كورتيس قد أفاض فيه القول؛ فإننا سنحاول رصد المحورين النظريين الآتيين:

١. المنظور الفلسفي للمصطلحات السيميائية.

٢. التداولية الاجرائية للمنظورات المصطلحية.

1. المنظور الفلسفي للمصطلحات السيميائية

إنَّ أهم ما نظّر له كورتيس هو مفهوم البرنامج السردي ومكوناته الاساسية التحفيز والكفاءة والانجاز والتقويم ودراسة الصور كوحدات دلالية مع ربطها بالبنية العاملية والاطار الوصفي.

وهو في ذلك كله إنما ينطلق من أرضية نظرية دشّنها السابقون من الشكلانيين والبنيويين والسيميائيين مثل فلاديمير بروب ويلمسليف وغريماس وسوريو وشتراوس، لكي يؤسس عليها طروحاته النظرية الخاصة التي أنفرد بالتعريف بها وتبيانها إجرائيا..

وسنستعرض أهم تلك المنظورات الفلسفية من خلال بعيدين: البعد الأول يهتم بتتبع المنظورات ذات التوسعة المصطلحية التي عرض لها كورتيس بعمق وإهتمام، والبعد الثاني يسعى إلى التقاط المنظورات المعجمية البسيطة التي قصد كورتيس جمعها، ثم العمل على تطبيقها فعليا على نصوصه السردية المنتخبة وكالآتي :

أ. المنظورات ذات التوسعة المصطلحية

ونعني بها الاصطلاحات المفاهيماتية ذات التوجه النظري البحت، التي تمتاز بتعمق نظري سيميائي يستند على خلفية منهجية ثلاثية شكلانية بنيوية سيميائية أولا؛ وينطلق آخرا من اقتناع رؤيوي بتداولية اللغة تركيبا وصرفا ودلالة وعلى المستويين الأفقي والعمودي.

ومن الاصطلاحات التي اتكأت على بعضٍ مما تقدم :

١. البرامج السردية/ وهي وحدات سردية بسيطة يرمز لها بـ(ب. س) ولكنها قابلة للتوسع والتعقيد الشكليين، دون أن يغير ذلك شيئا من وضعيتها كصيغ تركيبية قابلة للتطبيق على الأوضاع السردية الأكثر تنوعا إذ تنبثق عن تركيب عاملي قابل للتطبيق على كل أنواع الخطابات. وهي تبرز تنظيم مختلف مقاطع الترسيمة دون أن تكون مع ذلك مكونات لهذه الترسيمة التي توافق تمفصلا آخر للخطاب.

وبالإمكان أن توجد علاقة تبعية بين برنامجين أو عدة برامج مترابطة فيما بينها بسيميائية العمل(أداء الذات) فمثلا (أين يستطيع البطل في النهاية عقب بحثه أن يحقق المهمة التي تكفل بها؟) إنها لحظة المسار السردي التي تبدو بنيويا الأكثر قربا من تحديد ب . س بصفته عملا منجزا .

٢. انجاز الذات/ إذا أنجز البرنامج السردي وانتهى الفعل؛ فإن ذلك هو إنجاز الذات والذات

لا يمكنها القيام بإنجاز، إلا إذا امتلكت مسبقا الكفاءة الضرورية؛ وإذا كان الانجاز يوافق العمل كفعل كينونة الكفاءة هي(من يوجد الكينونة)، فعند ذاك تكون بنية الملفوظ الحالة هي التي يجب أن تؤخذ كنقطة انطلاق لفحصها أي الكفاءة.

٣. ملفوظات الحالة وملفوظات الفعل/ فأما ملفوظات الحالة فهي ذوات الحالة وذوات الفعل الأولى واضعة للقيم والثانية عاملة، تقوم بتحويل الأولى إلى إجراءات وتتحدد ذوات الحالة في وجودها السيميائي من خلال نعوت أو محمولات بالفعل عبر علاقة الذات بالموضوع. وأما ملفوظات الفعل فإنها ذات الفعل التي تجري تحويلات تتموقع بين الحالات وملفوظ الفعل..

٤. التركيب العاملي/ إذا فهمنا الحكاية حدسيا كشيء يحدث؛ فإن تصورنا للعمل باعتباره إنتاجا لحالة جديدة يكون كفيلا بمثل هذا التحديد، فالحكاية الدنيا هي نوع من حكاية مصغرة قابلة للتوليف مع حكايات مصغرة أخرى لتكوين الحكاية المكبرة الموافقة لأبعاد النص السردي عقب إدماجات وتظافرات وتداخلات متتابعة.

٥. الفعل السيميائي / يمارس وفق خصائص مشتركة» مجموع الخطوط الفارقة أو المستخلصة بين المواضيع المدروسة» [٨]

٦. مبدأ الملاءمة/ مجموعة المعطيات التي تظهر بالضرورة كإختزال بالنسبة إلى المادة الخاضعة للتحليل وللتمثيل على ذلك؛ فإن هناك أشكالا هندسية أو حكايات شفهية يتم إظهار الموضوع الذي إستهدفه أو بيّنه داخل هذه الاشياء فالوردة تتناول بطرق مختلفة : علامة عاطفية/ بائع الازهار/ دارس نباتات/.. الخ.

٧. فعل الحكي/ هو الذي يؤسسه التطبيق السيميائي من مستويات متجانسة للتحليل من خلال الاحتفاظ بما هو ملائم فقط للموضوع الذي تختاره والباقي يقع كله خارج حقل ممارستها، والسبب في رأي كورتيس» أن الادراك الشامل والاكتمال لا يمكن أن يعتبرا من البحث العلمي التحليلي أنها تتموضع على العكس في جانب التوليفات التفسيرية التي تعترف بوجود شعور موازٍ بالحاجة إليها»[٩]

٨. نقطة الانطلاق/ هي المكان المشترك الذي تتجه نحوه كل المقاربات والمنهجيات المختلفة، فبالنظر إلى عدم معرفتنا الأولية، يجب أن نمنح أنفسنا بوضوح نقطة إنطلاق فإختيار اللسانيات بالطبع ليس بلا نتائج، وأن نقطة الانطلاق المحتفظ بها هي اللسانيات الفرنسية في المستوى المنهجي واللغات الطبيعية في مستوى المادة المحسوسة التي

يمارس عليها العمل السيميائي وهدف المشروع هو تخطي هذين المعطيين البدئيين[١٠]

٩. السيم/ هو وحدة الدلالة القاعدية وهو عنصر التدليل الادنى والذي لا يظهر بهذه الصورة، إلا في علاقة مع عنصر آخر له وظيفة تمايزية، ومثّل على ذلك بالليكسيمان (ابن وبنت) فهما يمتلكان سيما مشتركا فوق محور التجايل(علاقة بنوة) وسيما مختلفا على محور الجنوسة(الذكورة الأنوثة)[١١]

وأن تدليل اللكسيمات المحصاة بنتاج السيمات المكونة(رجل/ امرأة/ طفل/ اب/ ام/ ابن/ بنت) على مستوى أفقي و(انساني/ ذكر/ انثى/ بالغ/ غير بالغ/ انجاب/ بنوة) على المستوى العمودي لنحصل على حزمة من السيمات وتدليل مغاير بالاستبدال لاكتشاف الوحدات الدنيا للتدليل التي هي السيمات.

١٠. النواة السيمية/ هي التي تدخل في تكوين وحدات تركيبة أي اللكسيمات (عناصر مستوى التمظهر)

١١. الكلاسيمات/ هي تتمظهر داخل وحدات تركيبية أوسع تتضمن ربطا بين ليكسيمين على الاقل[١٢]، ومثّل على ذلك بكلمة رأس اذ تنبثق عنه نواة سيمية كحد أدنى دائم أي كنوع من اللامتغير ..والنواة مزدوجة من سيمات طرفية ودائرية هي سيمات نووية فالطرفية علوية وعمودية وأمامية وأفقية واستمرارية وانقطاع والدائرية صلابة واحتواء[١٣] والسيمات الملتقطة هنا تتحدد في المحايثة وبعيدا عن كل التمظهرات اللسانية..

١٢. السيم السياقي أو الكلاسيم/ هو سيم سياقي لا ينتمي الى الصورة النووية أي إلى النواة اللامتغيرة المعتبرة في ذاتها، إنها محدودة ومرصودة بالسياق، و» أن إدراج صورة نووية في سياق يربطها إلى واحدة أو عدة صور يبرز على الأقل سيما جديدا هو السيم السياقي أو الكلاسيم الذي يضمن الربط ويجعلها متلائمة»[١٤]، ومثّل على ذلك بمتوالية(كلب ينبح) إذ تحتوي ليس على صورتين سيميتين توافقان المكونين كلب وينبح ولكن أيضا سيما سياقيا أي كلاسيم حيواني هذا ما يبدو إذا استبدلنا كلب بصورة أخرى مثل صورة المحافظ ينبح نحصل على كلاسيم إنساني يجعل الوحدة بين الصورتين ملائمة [١٥]

١٣. التشاكل/ الذي يضمن انسجام السيمات السياقية أو الكلاسيمات في نص ما وهو مجموعة متكررة من المقولات الدلالية تجعل قراءة موحدة للحكاية ممكنة، ومهمة المقولات

الكلاسية المشكلة للتشاكل هي كبح الحركة الفوضوية من خلال فرضها نوعا من المستوى المشترك على الصور السيمية في توزيعها المركبي[١٦]، ومثل على ذلك بخرافات لافونتان[١٧] وانها لا تقصر ذلك على مقولات حي أو لا حي لان صور العالم في المستوى المادي الكوني المشكلة بالسيمات النووية قابلة للانخراط في اقسام تؤسس لمستوى مستقل للقراءة .

١٤. السيميم وميتاسيميم/ ويعني إندماج السيمات السياقية مع بعضها الآخر وهما نمطا وحدات التدليل المتمظهر[١٨] ونتيجة توليفية يكفي تحديد قواعد بنائها مع القيود التي تميزها. وللتمثيل فإن السيميم له أطوال مختلفة في مستوي العبارة ومن ثم سيكون له أما طول ليكسيم وأما طول شبه لكسيم.

١٥. المربع السيميائي/ هو تنظيم البنية الأساسية للتدليل التي تقع في المستوى العميق وذات الطبيعة المنطقية الدلالية التي تأخذ شكل نموذج محدد جدا ممثل فضائيا بالمربع السيميائي المسمى أيضا النموذج التأسيسي وللتمثيل فإن : س١ محور دلالي وس٢ محور دلالي مضاد سيم مضاد.

س1.....علاقة تضاد.....س2

علاقة اقتضاء علاقة تناقض

س2.....علاقة تضاد.....س1

والعلاقات أما تراتبية (علاقة ازدواجية) تتأسس بين س١وس٢ أو مقولية(علاقة تناقضية تتأسس بين س١وس٢) أو علاقة تضادية أو علاقة استلزام بين س١وس٢

١٦. تنظيم أساس وتنظيم سطحي/ هما يشكلان المكون التركيبي والتنظيم الأساس للبنية الأولية والمقابلة والمربع السيميائي. فأما البنية الأولية كلكسيم ووظيفة تفارقية فإنه لا يفهم، إلا في داخل البنية فالعلاقة التضادية الانفصال والاتصال بين سيمي مقولة ما تحدد البنية الاولية للتدليل ومثّل على ذلك بـ(فتى/ فتاة) سيمان ضمنيان ذكورة عكسها أنوثة والأول ليس له وجود إلا بالإحالة على الآخر والعلاقة تضادية تتعلق بالانفصال . والاتصال بديهي لكن الانفصال أقل بداهة. ولفهمه يجب التموقع في مستوى أعلى تراتبيا .

١٧. المقولة السيمية/ جنوسة تتمفصل بسيمين متقابلين ومتكاملين ذكورة / أنوثة محددة ببنية أولية للتدليل١٩، وقد تحفّظ كورتيس على ما قرره غريماس واجدا أن

التوزيع الثنائي للمحتوى الشكلي للمقولة السيمية وللمحور الدلالي، خيار يستند الى أسباب نظرية غير موضحة٢٠، مؤكدا أن علاقة التناقض ليست إلا جنسا من علاقة التضاد. وأن كل مقولة سيمية ثنائية هي قابلة أن تدرج في مستوى أعلى فوريا كعنصر مكون لمقولة سيمية ثنائية أوسع.

ب) المنظورات ذات المعجمية البسيطة

ونعني بها المفاهيم الاصطلاحية غير المستندة قصديا إلى خلفية منهجية بعينها ولكنها في الوقت نفسه مرتكنة على اشتغال نقدي تطبيقي محدد إجرائيا بنص سردي مختار وقد استثمر كورتيس هذا النوع من المنظورات في التدليل السيميائي على حكاية سوندريون، ومن تلك المفاهيم التي تندرج في هذا الاطار:

١. مرسل ومرسل إليه/ هو الزوج الثاني من العوامل الذي يدخل في تشكيل النموذج العاملي والعلاقة بينهما علاقة إندراجية ٢١

٢. مساعد مضاد/ في علاقة الذات بالموضوع نستخرج نوعين من الوظائف(مد المساعدة وتسهيل التواصل) أو على العكس خلق العراقيل إزاء رغبة أو تواصل مع موضوع. . بما يؤدي إلى سردنة نفسية . سيميائية (حياة داخلية) وسردنة اجتماعية . سيميائية (أسطورة وإيديولوجيا)٢٢

٣. السردية/ تتمثل في تحويل أو عدة تحويلات تكون نتائجها ترابطات هي أما وصلات وأما فصلات للذوات عن المواضيع"٢٣

٤. الملفوظات السردية/ هي الاشكال التركيبية الأولية وفي مستوى أعلى يمكّن لتسلسل من الملفوظات السردية أن ينظّم كوحدة سردية وهذا هو ما سماه غريماس(الانجاز) لكن كورتيس يرى أن تحويل أحد العناصر ينتج جملة من التحويلات المتسلسلة طوال المتتالية المعتبرة ٢٤

٥. الوحدة الخطابية/ هي وحدة مستقلة للخطاب السردي، بإمكانها أن تشتغل كحكاية ولكن بإمكانها إيضا أن تدمج كجزء مكون داخل حكاية أوسع»٢٥

٦. الكفاءة/ إرادة أو قدرة أو معرفة الفعل للذات، والتي يقتضيها فعلها الانجازي والفعل الانجازي للذات يستلزم مسبقا كفاءة للفعل٢٦.

٧. السيميائية/ لا تعني دراسة العلامات في مستوى التمظهر اللساني أو الموسيقي أو البصري ولكن لكل ما هو سابق عليها، ولكل ما هو ضمني فيها، ولكل ما يمكن وينتهي إلى إنتاجها»٢٧،

وهي ترفض أن تقتصر على مجرد تحليل للدوال وترسيمة للتواصل، لا تخدم اختزال السيميائية إلى دراسة المنظومات الدوال واستبعاد ربما بطريقة غير مباشرة للرسائل المدلولات٢٨.

٢. التداولية الاجرائية للمنظورات المصطلحية.

انطلق كورتيس من التصور السوسيري لمستوى العبارة ومستوى المحتوى من أجل فهم البنية الدلالية وتقسيمها إلى وحدات أو سيمات على المستوى التركيبي وفونيمات على المستوى الصرفي.

وبحسب نظرية يلمسليف فإن مستويي العبارة والمحتوى يتمفصلان، كل واحد حسب المقابلة ففي مستوى المحتوى يتشكل الوصف نحوا وشكلا ويتشكل معجما جوهرا دلاليا[٢٩] .

ودللّ على ذلك بالقصة التي تتضمن في مستوى المحتوى عنصرين مختلفين ومتمفصلين الواحد فوق الآخر بمكون نحوي ومكون دلالي الاول تعبير والثاني محتوى والنتيجة المتوصل إليهما أن التحليل السيميائي يجري في اتجاهين إنه يواجه في البداية جوهر المحتوى.. ويعالج بعد ذلك شكل المحتوى[٣٠]

ولكنه بيّن أن من الصعب التمييز بين العلاقات النحوية والوحدات الدلالية وقدّم ترسيمة للمستويات السيميائية فيها المستوى النصي ينقسم إلى المستوى السطحي والمستوى العميق..

ففي المستوى السطحي وحدات وعلاقات مسطحة وفي المستوى العميق سيمات صرف وتركيب، واستدرك أن هذه الترسيمة لا تشكل مكانا ملائما للتحليل لأنه فصل بين العبارة والمحتوى ولم يتعامل مباشرة معها [٣١]هو لا يرى الجوهر والشكل إلا منفصلين ..

وأن هناك نوعين من الفعل المعرفي الفعل التأويلي من منظور المرسل إليه والفعل الاقناعي من منظور المرسل[٣٢] وطبّق ذلك على الحياة العاطفية لفيلة البحر وكيف أن الفعل الاقناعي والتأويلي يحركان حالات التصديق وكيفية الاعتقاد .. وجدير بالذكر أن الناقد امبرتوايكو كان قد ذهب إلى" أن التأويل ليس فعلا مطلقا بل هو رسم لخارطة تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة وهي فرضيات تسقط انطلاقا من معطيات النص مسيرات تأويلية تطمئن إليها الذات المتلقية"[٣٣]

وفرّق كورتيس بين معرفة الفعل والكينونة[٣٤] وقارن بين ملفوظين: أنا أعرف كيف أمشي/ أنا أعرف نفسي ماشيا فالأولى معرفة كينونة والثانية معرفة فعل والذاكرة تلعب في معرفة الفعل كما في المعرفة عن الكينونة[٣٥]

والبنية السردية هي الموجه للعنصر الخطابي[٣٦] ومع ترابط المستويين السردي والخطابي وفي علاقة تراتب وتبعية فإنهما ليسا متراكبين لفظا بلفظ"[٣٧] علما أن البنية بحسب جاك دريدا» تقترض دائما مركزا من نوع ما للمعنى حتى في البنيوية هذا المركز يحكم البنية»[٣٨]

وقدّم كورتيس تدليلا على وحدة خطابية مثلها بالحكاية باعتبارها متوالية حسابية في المستوى العميق والسطحي بمكوناتها السردية والخطابية، وعلى شاكلة تحليل شتراوس للعالم الاسطوري فوضع متتالية من مستويات خطابية ذات عدد غير محدد وكل مستوى يقطع إلى وحدات مختلفة[٣٩]

وأن يكون بحوزة الذات الكفوءة برنامج سردي يحتمل أن تنجزه ومتصفة بسمات.. من مثل أين تتموقع الكفاءة التي تهم الذات السيميائية بوصفها ذات الفعل؟

وقد عمد في سبيل التعمق في بيان كفاءة الذات إلى تبني تداولية اجرائية يقرّب عبرها تنظيراته المعرفية السابقة فالذات تمر بثلاث صيغ مختلفة للوجود السيميائي هي:

ذات افتراضية ــ ذات محينة ـــ ذات متحققة

والاولى سابقة على اكتساب الكفاءة والثانية تنتج عن هذا الاكتساب الانتساب والاخيرة تعين الذات وقد قامت بالعمل الذي يوصلها بموضوع القيمة وبذلك تحقق مشروعها. وهذه الصيغ للوجود السيميائي ترتبط بمواضيع القيمة :

موضوع افتراضي ـــ موضوع محين ـــ موضوع متحقق

ولكن ماذا عن مسار المرسل؟

إذا كانت الذات السيميائية تتحدد كذات الفعل من خلال قدرة العمل؛ فإن المرسِل هو الذي يفعل الفعل لذلك هو وحدة سردية وأن العلاقة بين الذات والمرسِل هي علاقة تراتبية مؤسسة.

ثم قدّم لنا هذا التحديد التداولي:

ليكن النص المعطى لحكاية، معبرا عنه في لغة طبيعية ما : يتعلق الامر بمجموعة دالة(علامة لسانية) من دال(شكل لساني) ومدلول(شكل أقصوصة مروية) فان هذا المدلول المحتوى يمكن أن يروى بلغات مختلفة دون أن يتغير الجوهر كثيرا وهذا يدل على أن هناك استقلالا بين الدال والمدلول فالتغير في اللغة تغير في الدوال صوتيا أو خطيا، والمكون السردي دلالي يفترض أن المقابلة بين الشكل والجوهر تقع كليا داخل

تحليـل المحتـوى. إنهـا ليسـت مقابلة بين الدال/ الشـكل والمدلـول/ المحتوى، كمـا دأب تقليد طويـل منذ القرن التاسـع عشـر على ترسـيمه فنيا، فالمسـتوى النصي هو تمظهـر (تعبير + محتـوى) على مسـتوى سـطحي ومسـتوى عميق من السيميائيات(سـيم أو عنصـر ابن ـ بنت) فالسـيم المشـترك على محور التماثل بنوة والدين والسـيم على محور الجنوسـة ذكورة/ أنوثة.

وتـدرس مجموعـة السـيمات علـى مسـتوى التعبيـر والنواة السـيمية حسـب غريماس في نوعين من السـيمات النووية: كلاسـيمات تدخل في تكوين وحدات تركيبة وكلاسـيمات تتمظهر داخل وحدات تركيبية أوسـع هي المربع السـيميائي، الدال كنظام سـيميائي نرمز له س يقابله س َ س١ ـــ س٢ وبينهمـا علاقـة اقتضاء وعلاقة تضاد وعلاقـة تناقض وتراتب..

وأن النمـوذج العاملـي(مرسـل موضـوع متلق مضاد ذات مسـاعد) تظهر فيه علاقة الذات بالموضوع في اسـتثمار دلالي هو الرغبة كتوليفة أو ترسـيمة سـيمية :

فالذات : راغبا والموضوع : مرغوبا

وصلة فصلة / مرسل ـــــ مرسل إليه = علاقة اقتضاء

وسـيكون تنظيـم مسـتوى التحليـل المختـار تاليـا لعمليـة اسـتخلاص مسـتويات المقاربة بصـورة تسـمح بإنجـاز قوائـم للوحدات التـي تكونها أو للمكونـات والعلاقات التـي تقيمها هذه المكونـات صرفيـة أو تركيبيـة وهـذه المسـتويات المختلفة للتحليـل ذات طبيعـة تراتبية[٤٠]

ويتحـدد الطابـع الاسـتقرائي للوصـف بالنسـبة إلى الحقيقـة التي يصـف وتمظهرها ضمن طبيعـة محـددة بالنمـوذج الذي يبني مسـتوى التجانس ويتم إسـقاطه على المعطـى المتمظهر لمعرفـة مـدى الملاءمـة والقيـام بفحص النمـوذج[٤١]، من دون الالتـزام بتطبيق الإجـراءات في مسـتوى الـدال أو المدلـول أو كليهمـا، ويـرى كورتيـس أن مشـروعا كهـذا للتمفصـل التراتبي والتركيبـي، بعيـد عـن التحقيـق فـي الميدان السـيميائي كعلـم ومنهجية وموضـوع، وهو يبقى عموما في حقول السـيميائية كافـة كـ(سـيمياء الفضاء وسـيمياء المسـرح وسـيمياء الاشهار وسـيمياء السينما وسـيمياء الموسيقى).

أما السـيميائية السـردية أو الخطابية، فإنها تخرج عن هذا التعميم والسـبب» أن التسـمية بسـيميائية سـردية أو سـيمائية خطابية بإمكانها أن تشـمل جزءا كاملا من عمل غريماس تبرز جيدا كتمهيد ممكن لتوزيع وتعريف شـكليين بمعزل عن حقول الاشـتغال»[٢٤].

فضغط السوسيولوجيا ودراسة التدليل كنمط رسالة في مستوى الملفوظ والهيئة الباثة(قضايا التلفظية والانتاج) والمتلقي مع مسألة التفسير[٤٣] تؤسس مفصلة سيميائية خاصة يمكن الوصول إليها فمعطى (حكاية) = مجموعة دالة (علامة لسانية) ١) اتحاد دال تعبير ٢) مدلول محتوى .

والترجمة لا تحدد الدوال نفسها إذ يحدث تغيير صوتي وخطي لكن ذلك لا يعني أن الترجمة مستحيلة « إذ نجد على الاقل نفس المدلول بالتقريب تحت شكل لساني مختلف» [٤٤]

وخلص من دراسته السيميائية هذه إلى محصلة لأهمية المستويات مبينا أن العقل البشري ينطلق من أجل الوصولات الثقافية من عناصر بسيطة وأن المفردات السيمية تتجمع لتميز محورين وترسيمتين وإشاريتين.

ومثّل على ذلك بسيمين بسيطين (طلب ع نهي) محور دلالي يعيّن مقولة الاوامر ايجابيا = طلب او سلبيا = نهي بينهما علاقة مزدوجة للفصل والوصل كل واحد من السيمين طلب ونهي يعطي المجال لمفردة نقيضة .

أ طلب/ع/ حر= غير مطلوب

ب نهي/ع/ مسموح= غير منهي عنه

والوصل بين حر ومسموح يعبر عنه في الاختياري مفردة مركبة أمري ومفردة محايدة اختياري هي نفي متزامن للضدين طلب ونهي[٤٥]

طلب	نهي
مسموح غير منهي عنه	حر غير طلبي

« وطبيعي أن الأمر والإختيار يمكنهما أن يصبحا بدورهما قاعدة لمربع سيميائي من مرتبة أعلى مباشرة ويفسحا المجال بالتالي لتنظيم مشابه وتوليد مفردات جديدة»[٤٦]، وأن العوامل هي التي تعين القسم الفرعي للسيميات المحددة كوحدات معزولة وبالمسند لتسمية السيميات المعتبرة وحدات مدمجة ومن خلال الربط بين عامل ومسند تقوم في الحين تنظيم تركيبي للتمظهر للمحتوى ولا تتحدد المفردتان إلا واحدة بالأخرى، وكل رسالة دلالية تتضمن ضرورة حضور كليهما[٤٧]

وللتمثيل على ذلك استخدم نموذجا عامليا بمقابلة(سكون ع حركة) والاجراءات الافعال المتعلقة بالعوامل وهكذا فإن السيميم الاسنادي، كما يتحقق في الخطاب المتلبس باللكسيم وفي مثال مترجم من الفرنسية :

هذا الفستان يوافقها جيدا

هذا الطفل يذهب الى المدرسة

المثال الأول سكون والثاني حركة الاول وصف وثاني وظيفة.

والذي يتم على المستوى السطحي مورفولوجيا هو نموذج عاملي، وأما على المستوى العميق فالسيمات مورفولوجيات يقابلها تركيبيا نموذج تأسيسي أو بنية اولية للتدليل أي أن العوامل يقابلها المربع السيميائي.

وقد انحاز كورتيس إلى غريماس أكثر من بروب لأن فرضية غريماس» تتمثل في انتقالها من ميدان الوظائف التي يقترح بروب بشأنها تنميطا أوليا في حقل القصص الشعبية العجيبة إلى ميدان العوامل مصطلح مقتبس من ل. تنيار الذي يبقى الفعل عنده عقدة الجملة» [٨٤] وعرّج على نموذج عاملي أسطوري بالاستناد إلى بروب وسوريو وهي:

مرسل	موضوع	متلقي
مضاد	ذات	مساعد

وأن النموذج العاملي كنظام محوره علاقة بين الذات والموضوع [٩٤] و» أن فقدان أي علاقة بين الذوات والموضوعات تؤول إلى إلغاء الوجود السيميائي وترمي بالموضوعات في العدم الدلالي الاصلي"[٥٠]

وكان الناقد امبرتوايكو قد حاول أن يفسر هذا الاختلاف واضعا تصنيفا أدبيا للعلامة على وفق تسعة معايير محددة، مقسما مصدر العلامة إلى : موضوعات عضوية وموضوعات لا عضوية[٥١]

اما رامان سلدن فذهب إلى أن» العلامة ليس لها دلالة إلا بعلاقتها داخل النسق .. اللغة نسق من أنساق متعددة للعلامة « [٥٢]».

وعلى الرغم من إمعان كورتيس في تلمس حيثيات النظرية السيمائية سرديا وخطابيا؛ إلا إنه انتهى إلى أن الجهد البحثي الذي قدَّمه» ليس مرضيا بطبيعة الحال بالنسبة إلى كل النقاط .. ولكنه ذو طبيعة عملية تعلن عن أبحاث واكتشافات ممكنة وقادمة»[٥٣]

ولعل من أسباب إحساسه بعدم الرضا متأتٍ من أن الانسان لا يتموقع فقط في علاقة من نوع أنا/أنت ولكن أيضا في علاقة مع العالم الذي يتم فيه أو عليه فعله اليومي.

وإذا كان القسم الثاني من الكتاب كورتيس قد خصص لقراءة سيميائية لسوندريون والتنظيم العام لها على أنها حكاية زواج كوسيلة للرقي الاجتماعي؛ فإن الغاية هي التفريق بين السيميائية السردية والسيميائية الخطابية كنظرية نقدية معاصرة ذات حمولات نقدية تحليلية ووصفية وتفسيرية..

الخاتمة

يتبين لنا مما تقدم أن جوزيف كورتيس بوصفه ناقدا سيميائيا لا يرى الملفوظات إلا كمكونات سردية وملفوظات خطابية لها مستويات وتتضمن عناصر وعلاقات تنظم المعنى..

وهو معتد كثيرا بتنظيرات غريماس كيف لا وهو أحد تلامذة المدرسة السيميائية الفرنسية بفرضياتها اللغوية ومعطياتها المنهجية متوصلا الى مفصلة سيميائية خاصة به مكنته من وضع معجم اصطلاحي استمد قاعدته النظرية من طروحات الشكلانيين والبنيويين والسيميائيين وبنى أركانه وطبقاته من رؤية منهجية استمدها من عقل نقدي ثاقب وبتمعن تداولي وحرص ووعي خالصين ..

ولم يكن كتابه(مدخل الى السيميائية السردية والخطابية) مجرد مدخل اعتيادي بل هو تمهيد تنظيري ومقدمة مبدئية لاشتغالات سيميائية أكثر بعدا وشمولية وهو ما قرره في خاتمة الكتاب انطلاقا من التزام علمي ونظر موضوعي لا يسلكه إلا من تمثل أساسيات التفحص النقدي وهضم أوليات التنظير النقد نقدي.

فهرس هوامش البحث

(setondnE)

١. مدخل الى السيميائية السردية والخطابية ، ترجمة د. جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٢. م. ن/ ٥٥

٣. م . ن/ ٥٦

٤. م . ن/ ٥٧

٥. أثر النقد الانكليزي في النقاد الرومانسيين في مصر ، د. جيهان السادات دار المعارف القاهرة ٣٢/١٩٨٦

٦. ينظر: أدوات النص دراسة ، محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب/٩٨.

٧. النظرية الادبية المعاصرة رامان سلدن، ترجمة د. جابر عصفور ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ /١٣

٨. مدخل الى السيميائية السردية والخطابية / ٥٨

٩. ينظر: م. ن/ ٥٩

١٠. ينظر: م. ن/ ٦٣

١١. ينظر: م. ن/ ٧٣–٧٤

١٢. م. ن/ ٧٦

١٣. م. ن/ ٧٨

١٤. م. ن/ ٨٠

١٥. ينظر: م. ن/ ٧٩.٨٠

١٦. ينظر: م. ن/ ٨٢

١٧. م. ن/ ٨٣

١٨. م .ن/ ٨٤

١٩. ينظر: م .ن / ٨٨

٢٠. ينظر: م .ن / ٨٩.٩٠

٢١. م .ن /١٠٩

٢٢. ينظر: م .ن / ١١٣

٢٣. م .ن / ١١٧

٢٤. ينظر: م. ن/ ١١٩

٢٥. م .ن / ١٢٠

٢٦. ينظر: م .ن / ١٢٢

٢٧. م .ن / ١٦٧

٢٨. « م .ن / ١٧٢

٢٩. ينظر: م .ن / ٦٨

٣٠. ينظر: م .ن / ٦٩

٣١. م .ن / ٧١

٣٢. م .ن / ١٢٧

٣٣. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، امبرتوايكو، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب طبعة أولى، ٢٠٠٠/ ١١

٣٤. مدخل الى السيميائية السردية والخطابية/ ١٢٩

٣٥. م .ن / ١٣١

٣٦. ينظر: م .ن / ١٥٣

٣٧. م .ن / ١٥٤

٣٨. النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن /١٣٥.

٣٩. ينظر: مدخل الى السيميائية السردية والخطابية/ ١٦٢

٤٠. م .ن / ٥٩

٤١. م .ن / ٦٠

٤٢. م .ن / ٦١

٤٣. ينظر: م .ن / ٦٢

٤٤. م .ن / ٦٤

٤٥. م .ن / ٩٦

٤٦. م .ن / ٩٧

٤٧. م .ن / ٩٩

٤٨. م .ن / ١٠٢

٤٩. م .ن / ١٠٥

٥٠. م .ن / ١٠٨

٥١. العلامة تحليل المفهوم وتاريخه /٦٣.

٥٢. النظرية الادبية المعاصرة رامان سلدن /٩٠

٥٣. مدخل الى السيميائية السردية والخطابية / ١٧٠

فهرس المصادر والمراجع

١. أثر النقد الانكليزي في النقد الرومانسيين في مصر، د. جيهان السادات، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٢. أدوات النص دراسة، محمد تحريشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب،٢٠٠١.

٣. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، امبرتوايكو، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـ المغرب، طبعة أولى ٢٠٠٠.

٤. العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، امبرتوايكو، ترجمة سعيد بنكراد، راجع النص: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، طبعة اولى، ٢٠٠٧.

٥. مدخل الى السيميائية السردية والخطابية بترجمة د. جمال حضري ، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف طبعة اولى ٢٠٠٧

٦. النظرية الادبية المعاصرة ، تأليف رامان سلدن، ترجمة جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ .